النهضة الخمينية والتمهيد لظهور المهدي في الأحاديث الشريفة والمنجزات المشهودة

الأستاذ عرفان محمود

إسلامية الاعتقاد بالمهدي الموعود

صحّت عند جميع الفرق الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن سيد الرسل محمّد ﷺ التي تصرِّح بحتمية ظهور المهدي الموعود من أهل البيت النبوي في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً[1] . بل قد صرّح عددٌ كبيرٌ من علماء أهل السنّة من مختلف مذاهبهم بتواتر هذه الأحاديث وألّف بعضهم دراسات علمية في إثبات تواترها[2] ، ولذلك أفتى علماء المذاهب الأربعة بوجوب قتل منكر ظهور المهدي الموعود أو تأديبه بشدّة حتى يرجع عن قوله[3] .

---

(١) راجع مثلاً المجلدين الأول والثاني من كتاب معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، فقد ورد فيهما الكثير من هذه الأحاديث المروية في الكتب المعتبرة عند الفرق الإسلامية .

(٢) مثل كتاب « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال المسيح » للشوكاني . وقد صرّح بتواتر أحاديث الكافي ما يزيد على ستّين من كبار علماء المذاهب الإسلامية أورد أسماءهم وتصريحاتهم بذلك السيد ثامر العميدي في كتاب دفاع عن الكافي ١ : ٣٤٣ ـ ٤٠٥ .

(٣) نقل المتقي الهندي مؤلف كتاب كنز العمال في كتابه البرهان على علامات مهدي آخر الزمان فتاوي أربعة من علماء المذاهب الإسلامية المختلفة في عصره بهذا الشأن هم : ابن حجر الهيثمي الشافعي ، وأحمد أبو السرور ابن الصبا الحنفي ، والشيخ محمد الخطابي المالكي والشيخ يحيى بن محمد الحنبلي ، وقد صرّحوا فيها بتواتر أحاديث المهدي وأن منكرها « يجب ضربه وتأديبه وإهانته حتى يرجع إلى الحق راغماً وإلّا فيهدر دمه » ، البرهان على علامات مهدي آخر الزمان : ١٧٨ ـ ١٨٣ .

أما عند أتباع أهل البيت عليهم السلام فتواترها أمر قطعي والإيمان بحتمية ظهور المهدي من ضروريات المذهب التي لا يجوز إنكارها ، وجزء من أصول الدين التي يجب الاعتقاد بها عن دليل ويقين باعتبار أن الإمامة من أصول الدين طبق عقيدة مذهب أهل البيت والإيمان بالمهدي الموعود ـ باعتباره الإمام الثاني عشر من خلفاء رسول الله وأوصيائه ـ من ضروريات الاعتقاد بالإمامة وقد أقاموا عليه الكثير من الأدلّة من آيات القرآن ومن صحاح الأحاديث النبوية والكثير من البراهين العقلية(٤) .

عالمية الإيمان بالمنقذ العالمي

إنّ الإيمان بالمصلح الموعود الذي يظهر في آخر الزمان يُعدّ من أبرز العقائد المشتركة بين مختلف الأديان السماوية. فقد بشّرت بظهوره جميعاً وإن اختلفت في تحديد هويته ؛ على أن دراسة نصوصها بشأنه تثبت بأن المقصود منها هو المهدي الإسلامي من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وحسب عقيدة أهل البيت عليهم السلام(٥) . بل أكثر من ذلك فإن الإيمان بحتمية ظهور المنقذ العالمي الموعود موجود حتى في المدارس المادّية ؛ إذن فهو من أكثر العقائد انتشاراً في الفكر الإنساني عموماً(٦) .

أحاديث حركة « الموطئة » في المصادر المشتركة

وعندما نراجع الأحاديث الواردة بشأن المهدي الموعود نجد أن من نقاط الاشتراك البارزة بين ما يرويه أهل السنّة ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، هو الاتفاق على أن ثمّة حركة ثورية ممهدة لظهور المهدي الموعود تكون انطلاقتها من إيران . ننقل هنا نماذج من هذه الأحاديث الشريفة من المصادر المعتبرة عند الفريقين (وفي اتفاقهما عليها دونما مخالف دليل واضحٌ على صحّتها ولو بمضامينها المشتركة كحدٍّ أدنى) :

١ ـ روى ابن ماجة والترمذي والبيهقي في سننهم والطبراني في الأوسط من معاجمه والقرطبي في تذكرته وابن كثير في فتنه والهيثمي في مجمع الزوائد

---

(٤) راجع في هذا الباب موسوعات الغدير للعلّامة الأميني وإحقاق الحق وملحقاتها للسيد المرعشي النجفي ، وغيرها .

(٥) راجع مثلاً كتاب الشيخ محمد الصادقي المطبوع بالفارسية تحت عنوان « بشارات عهدين » ، وراجع دراستنا المنشورة حول هذا الموضوع في العدد التاسع عشر من مجلة الفكر الإسلامي .

(٦) راجع كتاب المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي ، إصدار مركز الرسالة : ٨ ، وكذلك مقدّمة كتاب بحث حول المهدي لآية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر .

والسيوطي في الحاوي وابن حجر في القول المختصر وفي الصواعق أيضاً والمتقي الهندي في كنز العمال وفي كتابه البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، وغيرهم عن رسول الله ﷺ انّه قال : «**يخرج ناسٌ من المشرق** [وفي رواية بالمشرق]، **فيُوطِّئون للمهدي سلطانه**»(٧) .

ومن الثابت أنّ وصف المشرق يُطلَق في لغة الأحاديث والنصوص القديمة على إيران اليوم ، على أن في روايات أخرى تصريحات بأنّ هؤلاء من أهل خراسان أو قم أو الطالقان ، وكلّها تشير إلى إيران اليوم بذكر أهمّ حواضرها يومذاك .

٢ ـ وروى الحاكم في مستدركه وصحّحه على شرط الشيخين البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل في مسنده وابن حمّاد في ملاحمه وابن المنادي في الملاحم والبلخي في البدء والتاريخ والسيوطي في العرف الوردي وابن القيم في المنار المنيف والبيهقي في دلائل النبوّة والعسقلاني في زهر الفردوس وغيرهم من حفّاظ أهل السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قِبل خراسان فأْتوها ولو حبواً على الثلج فإنّ فيها خليفة الله المهدي**»(٨) .

٣ ـ وروى أبو داوود في سننه والنسائي في سننه وابن المنادي في ملاحمه والقرطبي في تذكرته وابن كثير في الفتن والحميدي في الجمع بين الصحيحين وغيرهم كثير بسندٍ صحيح عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يخرجُ رجلٌ من وراء النهر يُقال له الحارث بن حراث على مقدّمته رجلٌ يُقال له منصور يُوطّن أو يُمكّن لآل محمّد كما مكّنت قريش لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته**»(٩) .

وواضحٌ أن الاسم المذكور رمزي ـ كما في الكثير من أخبار الملاحم ـ والمقصود منه الخبير أو الذي يكون عمله مثمراً .

٤ ـ وروى ابن حمّاد والمقدسي في عقد الدرر والسيوطي في العرف الوردي وابن حجر في القول المختصر والمتقي الهندي في البرهان ، عن سعيد بن المسيب عن

---

(٧) راجع تفصيلات مصادر الحديث ، في كتاب معجم أحاديث الإمام المهدي ١ : ٣٨٧ وما بعدها .

(٨) معجم أحاديث الإمام المهدي ، ١ : ٣٩٠ وما بعدها .

(٩) المصدر السابق : ٣٩٤ وما بعدها .

رسول الله ﷺ قال : «**تخرج رايات من المشرق راياتُ سود لبني العباس ، ثم يمكثون ما شاء الله ، ثم تخرج راياتُ سود تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه ، من قبل المشرق يُؤدّون الطاعة إلى المهدي**»(١٠) .

٥ـ وروى ابن حماد وابن المنادي والداني والسيوطي وابن حجر والمتقي الهندي وغيرهم عن رسول الله ﷺ قال : «**تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سوداء وثيابهم بيض على مقدّمتهم رجلٌ يُقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب ، من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني حتى تنزل بيت المقدس توطّئ للمهدي سلطانه ...**»(١١) .

وواضح أن الأسماء هنا رمزية أيضاً .

٦ـ وروى الخطيب البغدادي والديلمي عن ابن عباس وأبي هريرة : «**إذا أقبلت الرايات السود فأكرموا الفُرس فإنّ دولتكم معهم**»(١٢) .

وتعبير « دولتكم » إشارة إلى الدولة المهدوية الإسلامية .

٧ـ وروى ابن حماد وابن أبي شيبة وابن ماجة والعقيلي والهيثم بن كليب في مسند الصحابة وابن المنادي والحاكم في مستدركه والداني في سننه وابن حبان وأبو نعيم وابن طلحة الكنجي الشافعي والمقدسي وابن القيم في المنار المنيف والذهبي في ميزان الاعتدال وابن كثير في الفتن والسيوطي في الحاوي والخصائص وجمع الجوامع والدر المنثور وابن حجر في الصواعق والمتقي الهندي في البرهان وكنز العمال والشوكاني في التوضيح وغيرهم ، عن ابن مسعود قال :

أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يُعرف السرور في وجهه ، فما سألناه عن شيءٍ إلّا أخبرنا به ، ولا سكتنا إلّا ابتدأنا ، حتى مرّت فتيةٌ من بني هاشم ، فيهم الحسن والحسين ، فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه ، فقلنا : يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ، فقال : «**إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد ، حتى ترتفع راياتُ سودُ من المشرق ،**

---

(١٠) المصدر السابق : ٣٩٦ .

(١١) المصدر السابق : ٣٩٧ .

(١٢) المصدر نفسه : ٣٩٣ .

فيسألون الحقّ فلا يُعطونه ، ثم يسألونه فلا يُعطونه ، فيقاتلون فينصرون ، فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأتِ إمام أهل بيتي ولو حبواً على الثلج ، فإنها رايات هدىً يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي .... فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»(١٣) .

ودفع الرايات إلى المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً يشير إلى أن تحركها يكون قبل ظهوره ، وأن الرايات تنطلق باسمه ودعوة له .

وقد وردت مضامين هذه الأحاديث الشريفة في عدّة أحاديث رواها حفّاظ أهل السنّة عن الإمام علي وعدد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام كما رويت عنهم أحاديث أخرى من طرق أتباعهم نذكر فيما يلي نماذج لها :

٨ ـ روى النعماني في كتاب الغَيْبة بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال : «**كأنّي بقومٍ قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يُعطونه ، ثم يطلبونه فلا يُعطونه ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيُعطَونَ ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ، ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم . قتلاهم شهداء . أما إني لو أدركتُ ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر**»(١٤) .

٩ ـ وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : «**ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحيةُ في جُحرها ، ثم يظهر العلم ببلدةٍ يُقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجّة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة ، فيفيض العلمُ منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب ، فتتم حجّة الله على الخلق حتى لا يبقى أحدٌ على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام ويصير سبباً لنقمة [لنعمة ـ خ] الله وسخطه على العباد لأن الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجّة**»(١٥) .

وواضحٌ أن الإنتقام هنا هو من الظالمين لتمام الحجّة عليهم أما غيرهم فظهور المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ رحمة لهم .

---

(١٣) المصدر نفسه : ٣٨١ ـ ٣٨٦ .

(١٤) كتاب الغيبة للنعماني ، الباب ١٤ ، الحديث ٥ : ٢٧٣ .

(١٥) بحار الأنوار ، ٦٠ : ٢١٣ ، سفينة البحار ، ٢ : ٤٥٥ ، منتخب الأثر : ٤٤٣ .

١٠ ـ وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : «رجلٌ من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ يجتمع معه قوم كزبر الحديد لا تزلّهم الرياح العواصف ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكّلون والعاقبة للمتقين»[١٦] .

١١ ـ وروى ابن حماد وغيره من حفّاظ أهل السنّة عن الإمام علي عليه السلام قال : « فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني ، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»[١٧] .

١٢ ـ وروى السيد ابن طاووس في الإقبال عن ملاحم البطائني في حديثٍ عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « ... ليس يرى أمة محمّد صلى الله عليه وآله فرجاً أبداً ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم ، فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمّة محمد رجلاً منّا أهل البيت يُشير بالتقى ويعمل بالهدى ولا يأخذ في حكمه الرشى ، والله إني لأعرفه باسمه وأسم أبيه ، ثم يأتينا الغليظ القصرة ذو الخال والشامتين القائم العادل الحافظ لما استودع يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملأها الفجّار جوراً وظلماً»[١٨] .

أحاديث الموطئة والنهضة الخمينية

هذه الأحاديث الشريفة ونظائرها تدلّ على وقوع حركة توطئةٍ وتمهيدٍ للثورة المهدوية الكبرى وتحدّد لها الصفات التالية التي نلاحظ انطباقها بوضوح على النهضة الخمينية .

انطلاقها من إيران

١ ـ تنطلق هذه الحركة من إيران «أرض المشرق» ، وهي التي فيها الثلج غير المألوف نزوله في الجزيرة العربية ، وقد وقع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في شهر «بهمن» الإيراني ومفردة «بهمن» تعني الكتل الثلجية التي تتجمع في الجبال ثم تهوي إلى السهول كما تعني ذرّات الثلج الكثيفة التي يحرّكها الهواء وتسبّب أحياناً عاصفة ثلجية[١٩] ، وأُطلق هذا الإسم على هذا الشهر لأنّه موسم نزول الثلج في إيران ، ولاستخدام عبارة : «فأْتوها ولو حبواً على الثلج» مغزىً واضحٌ في الدلالة على منطلق

---

(١٦) سفينة البحار : ٤٤٦ .

(١٧) معجم أحاديث الإمام المهدي ، ٣ : ٧٧ .

(١٨) إقبال الأعمال : ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ، إثبات الهداة ، ٣ : ٥٨١ ـ ٥٨٢ .

(١٩) فرهنگ (قاموس) عميد (فارسى ـ فارسي) ، ٢ :

حركة الموطئين خاصة مع ملاحظة أن انتصار النهضة الخمينية وقع في **العشرة الثانية** من شهر بهمن حيث يتكثّف نزول الثلج . ومهما يكن الحال فإن استخدام الوصف المذكور إلى جانب استخدام وصف « المشرق » يشير بوضوح إلى منطلق هذه الحركة الموطّئة حتى مع غضّ النظر عن الأحاديث الشريفة المصرّحة بأنّها تنطلق من إيران.

انتماء روّاد التوطئة

٢ ـ ان الذين يقومون بهذه الحركة قومٌ من أتباع أهل البيت عليهم السلام كما هو واضحٌ من نصوص الأحاديث الشريفة المتقدّمة حتى المروية في كتب أهل السنّة خاصة الحديث الثالث والحديث السابع من النماذج المتقدّمة ، فزعيم الحركة «**يوطن أو يمكّن لآل محمّد**» . «**رجلاً منّا أهل البيت**» كما في الحديث الثاني عشر وانطباق هذه الصفة على نهضة الإمام الخميني ـ الذي ينتمي نسباً ومنهجاً إلى أهل البيت ـ في غاية الوضوح.

مواصفات قائد حركة الموطئة

٣ ـ إن قائد هذه النهضة «**رجلٌ من قم**» «**يدعو إلى الحق يُشير بالتقى ويعمل بالهدى ولا يأخذ في حكمه الرشى**» .

وهذه الصفات تنطبق بوضوح على الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ ، وهي وإن كانت عامة قد تنطبق على غيره أيضاً إلّا أن فيها خصوصيات تحصر المقصود به عجل الله فرجه. فهي تشير إلى وصوله للحكم ولم يحدّثنا التاريخ عن خروج رجل من قم يتصف بالإشارة للتقى والعمل بالهدى ويقيم دولة وحكماً كما حدث مع الإمام عجل الله فرجه ، إضافة إلى ذلك فإنّ في تتمّة الحديث ما يشير إلى اجتماع أنصار أقوياء معه يتحلّون بصفات إيمانية عالية ، وهذا أيضاً ممّا لم يحدّثنا التأريخ عن نظير لما جرى مع الإمام الخميني الذي حظي بقاعدةٍ شعبية إيمانية قوية كما سنشير إلى ذلك لاحقاً .

صفات الموطّئين

٤ ـ والمستفاد من مجمل هذه الروايات الشريفة ، أن القائمين بهذه النهضة يتحلّون بدرجةٍ عالية من الإصرار في طلب الحق والاستماتة في السعي لإقراره ، وهم على درجةٍ عالية من التوكل على الله تبارك وتعالى والتقوى تؤهلهم لأن تكون العاقبة لهم فيحظون بالانتصار الحاسم .

وقد رأينا أن من أبرز ما تميّزت به النهضة الخمينية هو إحياء الروح العرفانية الجهادية المستلهمة من ملحمة كربلاء والتي تجلّت في مسيرة الثورة في آلاف الصور التضحوية التي سطّرها أنصار الإمام الخميني في وقائع الثورة قبل انتصارها وبعد ذلك خاصّة خلال سني الحرب الثماني التي فرضت عليها .

وعليه يتضح أنّ صفات قائد النهضة وأنصاره تنطبق على الإمام الخميني وأنصاره ، وما ورد من خصوصيات في وصف الخراساني الذي يخرج بالرايات السود ، فهي ترتبط بزعماء هذه النهضة بعد قائدها الأكبر وهو الرجل القمي المشار إليه آنفاً وتحركاتهم فيما يرتبط بالمراحل اللاحقة من نشاطها التمهيدي ، وهذا ما يشير إليه تكرار طلب الحق في الأحاديث الشريفة المتحدِّثة عن مسيرة حركة التوطئة .

وواضحٌ أن حركة التمهيد لثورة عالمية كبرى مثل الثورة المهدوية ؛ تحتاج إلى فترة متناسبة مع هذه المهمّة المتشعبة . لذلك فنحن عندما نقول بأن النهضة الخمينية هي الممهِّدة للثورة المهدوية الكبرى ، فإن ذلك يعني قيامها بالتوطئة من خلال امتداداتها ومختلف مراحلها وبجهود جميع قادتها وقواعدها ، الذين شهدوا تفجير الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ لهذه النهضة أو الجيل اللاحق وزعمائهِ اللاحقين .

إنهاء استضعاف منهج أهل البيت عليهم السلام

٥ ـ والمستفاد من الأحاديث الشريفة أن حركة التوطئة تشتمل على تحرّك علمي تبليغي لمنهج أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى جانب التحرّك الجهادي ، وهذا أمرٌ طبيعي بل ضروري للتمهيد لثورة عالمية كبرى ذات أساسٍ عقائدي وأهداف عقائدية تتصل بمنهج أهل البيت عليهم السلام حيث صرّح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأن المهدي منهم ؛ وبأن ظهوره ـ وقبل ذلك ظهور حركة الموطئين له ـ تنهي حالة الاستضعاف التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام ونهجهم بعدما عانوا طويلاً من التشريد والمطاردة كما ورد في الأحاديث المتقدّمة .

وتصرّح الأحاديث الشريفة بأن بداية هذا التحرّك تكون بانتقال مركزية نشر علوم أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى مدينة قم في إيران فتصبح قم منطلق نشر هذه العلوم على الصعيد العالمي . وهذا ما تحقّق عملياً تزامناً مع بدء النهضة الخمينية .

فالحوزة العلمية في مدينة قم أسّسها أستاذ الإمام الخميني الشيخ عبدالكريم

الحائري وبمساهمة مجموعة من العلماء ـ بينهم الإمام الخميني ـ الذين أقنعوا الشيخ الحائري بالإقامة في قم وتأسيس حوزة علمية فيها ، ففعل ثم اتسع نطاق عمل هذه الحوزة في عهد السيد البروجردي الذي كان للإمام الخميني الدور الأهم في إقناعه بالانتقال من مدينة بروجرد إلى مدينة قم وتزعّم حوزتها[٢٠] ، ثم أصبحت حوزة قم كبرى حوزات علوم أهل البيت عليهم السلام في العالم بعد انتصار الثورة الإسلامية خاصة بعد انحسار دور حوزة النجف الأشرف بسبب تضييقات النظام العراقي وخروج وتهجير أغلب علمائها وتحديد نشاط الباقين بدرجة كبيرة ، وبذلك تحقق عملياً ما أخبرت عنه الأحاديث الشريفة وخاصةً الحديث التاسع من النماذج المتقدّمة .

ونلاحظ في هذا الحديث الشريف تصريح الإمام الصادق عليه السلام بأن هذا التطور يحدث «**عند قرب قائمنا**» أي الإمام المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ ، أي تصير قم آنذاك «**معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين**».

وفي ذلك إشارة إلى وصول المنهج الإسلامي الأصيل عبر حوزة قم إلى العالم أجمع ، ونلاحظ هنا أيضاً أنه لم يشهد تأريخ حوزات علوم أهل البيت عليهم السلام مثل هذا الحضور المشهود في حوزة قم لطلبة علومها من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، كما لم يشهد ما تشهده حالياً حوزة قم من حضور مشهود أيضاً للمدارس الدينية النسوية وهذه ظاهرة فريدة في تأريخ انتشار الثقافة الدينية العليا بين النساء أشار إليها الحديث الشريف بقوله عليه السلام : «**حتى المخدّرات في الحجال**» .

الموطئة ومجاهدة « السفيانية »

٦ـ إنّ أغلب الأحاديث الشريفة المتحدّثة عن حركة الموطئة صرّحت على صراع عنيف بينها وبين حركة « السفياني » التي تمثّل خط بني أمية في التأريخ الإسلامي ، ويبدو أن المراحل الحاسمة من هذا الصراع تقع في أواخر نشاطات الموطئين في **الحقبة الثالثة** من طلبهم للحق واضطرارهم إلى الخيار العسكري الحازم بعد تصعيد الحركة السفيانية لإجراءاتها العدوانية ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام واحتلالها العراق وارتكابها المذابح فيه كما تحدّثت عن ذلك الأحاديث الشريفة .

ومن الواضح للمتتبع لأوضاع العالم الإسلامي أنّ أرضية نشاط « الحركة

---

(٢٠) فيما يرتبط بهذا الجانب راجع مثلاً كتاب : « پابه پای آفتاب » بالفارسية الذي يشتمل على مقابلات مع عدد من تلامذة الإمام الخميني وأنصاره والمقرّبين منه .

السفيانية » متوفّرة بالكامل من خلال تيّار الوهابية الذي يتميّز بموقف عدائي سافر ضد أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فهو يستحل دمائهم وارتكب في السابق مجازر بشعة ضدّهم في كربلاء المقدّسة من خلال هجمات عسكرية ضدها انتهك فيها حرمة مرقد الإمام الحسين عليه السلام ، كما اتخذ موقفاً في غاية السلبية تجاه النهضة الخمينية وامتداداتها وهو يواصل نشاطاته التبليغية الواسعة ضدّها وضد أتباع أهل البيت عليهم السلام عموماً .

وهذا الصراع مرشحٌ للمزيد من التصعيد في ظل الإمكانيّات المادية الواسعة التي يستحوذ عليها ، يُضاف إلى ذلك أن التوجّهات الأموية واضحة للغاية في التيار الوهابي، فهو مستميت في الدفاع عن العصر الأموي حتى أنّ أحد رموزه المعاصرة يعتبر أن خلفاء بني أمية هم تتمّة الخلفاء الاثني عشر الذين نص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ فيما صحَّ عنه في الكتب الستّة وغيرها ـ بأنهم سيخلفونه في حفظ نهجه ويكون الدين بهم قائماً[٢١] !

بل ونرى هذا التيار مستميتاً فى الدفاع عن يزيد وإصدار الكتب فى تبرئته من جريمة قتل الحسين عليه السلام والدفاع عن جريمته في واقعة الحرة وقمع ثورة أهل المدينة التي أباحها لجيشه ثلاثة أيام فقتلوا ثمانين من الصحابة البدريين وغيرهم وانتهكوا الأعراض ، فيما نجد الخط الوهابي يدين ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويصفها بأن فيها فتنةً وفساداً كبيراً[٢٢]، ويستميت في محاربة الشعائر الحسينية .

وواضحٌ ان مثل هذا التيار يمثّل أرضية خصبة للحركة السفيانية وتنميتها لظهور السفياني وارتكابه المجازر التي تحدّثت عنها الأحاديث الشريفة واعتبرت ظهور السفياني من العلائم الحتمية للظهور . وتقارن وجود هذا التيار مع النهضة الخمينية يؤيد أن هذه النهضة هي حركة الموطئة التي تجاهد السفياني وتنهي فساده توطئةً للظهور المهدوي .

٧ ـ نكتفي هنا في هذه العجالة بالنقاط المتقدّمة من أوجه انطباق أحاديث حركة الموطئة على النهضة الخمينية ، ونختم هذا القسم من البحث بالإشارة إلى ثلاث قضايا ترتبط به، هي :

---

(٢١) راجع تعليقة عبدالعزيز بن باز كبير علماء الوهابية على محاضرة عبدالمحسن بن العباد المنشورة في مجلة الجامعة الإسلامية الصادرة في المدينة المنورة ، العدد الثالث من السنة الأولى ، ذي القعدة ١٣٨٨ ، وهي منشورة في موسوعة الإمام المهدي ، الجزء الأول : ٦٢٩ .

(٢٢) إتباعاً لابن التيمية الذي يصفها بذلك في كتابه منهاج السنّة ، ٢ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

استمرار حركة التوطئة

أولاً : قد تكون حركة الموطئة في إطارها العام قد تكون سابقة لنهضة الإمام الخميني ومستمرة في تفاعلاتها وبعض تفصيلاتها التي ذكرتها الأحاديث الشريفة إلى ما بعد رحيل الإمام ـ رضوان الله عليه ـ والتي لم تقع بعد ، إلّا أن ذلك لا يمنع من تطبيقها على هذه النهضة بالذات باعتبارها شكّلت منعطفاً تصعيدياً كبيراً بالنسبة للبدايات التي سبقت نهضة الإمام ﷺ ؛ وباعتبارها تشكّل أرضية ظهور المراحل اللاحقة لحركة الموطئة مثل خروج الرايات السود وإنهاء فتنة السفياني وغير ذلك من التفصيلات المرتبطة بظهور بعض القادة الموطئين بعد وفاة قائد النهضة الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ .

وعليه فانطباق تلك الأحاديث على النهضة الخمينية هو من باب إطلاق الاسم على أبرز ملامح الشيء ، مثل إطلاق اسم « الصلاة » التي تعني الدعاء على العبادة المعروفة، باعتبار أن الدعاء أبرز أجزائها .

أحاديث الموطئة والتحريف العباسي

ثانياً : ليس من الصحيح القول بأنّ أحاديث حركة الموطئة وأصحاب الرايات السود ليست صحيحة وضعها بنو العباس لاستقطاب الدعم الجماهيري لهم وإضفاء الشرعية على خلافتهم وادّعاء الثالث من خلفائهم للمهدوية .

فهذا القول مردود بالكثير من الأدلة ، منها كثرة هذه الأحاديث وصحّة أسانيد العديد منها ، وهو ما يرجح أن لجوء بني العباس إلى تحريف بعضها وتطبيقها على حركتهم واختيار السواد شعاراً لهم هو دليل اشتهارها بين المسلمين ولذلك حاولوا استغلالها لاستقطاب التعاطف الإسلامي معهم ضد بني أمية ، يُضاف إلى ذلك أنّ بعض الأحاديث المتقدّمة ـ مثل الحديثين الرابع والخامس ـ تميز بين رايات بني العباس ورايات الموطئين للمهدي ـ عجّل الله فرجه ـ ، الأمر الذي ينفي احتمال وضعها من قبلهم، إضافة إلى أن أئمّة أهل البيت عليهم السلام من المعاصرين لبدء الحركة العباسية والتالين لذلك ، قد تحدّثوا عن حركة الموطئة كما رأينا في النماذج المتقدمة وبيّنوا أوجه التمايز بينها وبين الرايات العباسية ، فلا يمكن نسبة أحاديثهم للوضع العباسي !

ثالثاً : كما أنّه ليس من الصحيح القول بأن هذه الأحاديث وإن انطبقت على النهضة

الخمينية وامتداداتها اللاحقة لكنّها قد تنطبق على قوم آخرين أيضاً يكونون هم الموطئين للمهدي سلطانه !

وردّ هذا القول أوضح من سابقه ، فهو نمط من الرجم بالغيب دونما دليل ، فكيف يمكن الإعراض عن مصداق مشهود محسوس لتلك الأحاديث والتوجه إلى مصداق محتمل قد يأتي في المستقبل وقد لا يأتي ؟!

وإذا كانت النهضة الخمينية هي مصداق حركة الموطئة ، فهل يعقل أن الأحاديث الشريفة قد أغفلت ذكرها وقد أثبت الواقع العملي ومنجزاتها المشهودة قوة آثارها العملية في التمهيد لظهور المهدي ـ عجل الله فرجه ـ كما سنرى في القسم الثالث من هذا البحث ؟!

إن الأحاديث الشريفة ذكرت الكثير من الحوادث الجزئية كعلائم لظهور المهدي ـ عجل الله فرجه ـ فهل يمكن أن تغفل حادثة كبيرة لم يشهد التاريخ الإسلامي نظيراً لها ـ مثل النهضة الخمينية ـ ؟

كما أن الأحاديث الشريفة تتحدّث عن واجبات إلزامية للمسلمين تجاه حركة الموطئة كوجوب النصرة والاتباع والالتحاق بها مهما كانت الصعاب ولو «حبواً على الثلج» ، وهي إشارة إلى شدّة صعوبة الالتحاق بها ؛ فكيف يمكن تصوّر أنها تأمر بذلك ثم تقول بأن المصداق الذي تنطبق عليه الصفات التي حددتها لحركة الموطئة قد يكون « متشابهاً » أو أكثر من واحد ؟! إن تعليق مثل هذه الواجبات ينبغي أن يكون بمصداقٍ واضح المعالم يمكن الجزم بأنه هو المقصود وحده دونما ترديد لا على أكثر من مصداق.

إذن الأحاديث الشريفة الواردة بشأن حركة الموطئة والمواصفات التي تحددها تنطبق على النهضة الخمينية بجذورها وامتداداتها ، وهذا ما تقود إليه الدراسة المتأنية لهذه الأحاديث كما أشرنا لذلك بصورةٍ موجزة في القسم الأول من هذا البحث .

وقد ظهرت عدّة دراسات روائية تناولت إثبات هذه الحقيقة مثل دراسة الشيخ مهدي الفتلاوي المطبوعة تحت عنوان « دولة الموطئين للمهدي عليه السلام في كتاب الأخبار لأهل السنّة » ، ودراسة الشيخ علي الكوراني المطبوعة تحت عنوان « المهدون » ، ودراسة الشيخ محمدي ريشهري المطبوعة بالفارسية تحت عنوان ترجمته

«الموطئون لثورة المهدي العالمية» ودراسة الشيخ علي أكبر ذاكري المطبوعة بالفارسية تحت عنوان ترجمته «الثورة الإسلامية الإيرانية في الآيات والروايات» وغيرها.

التمهيد للثورة المهدوية في كلام الإمام الخميني

يُضاف إلى ذلك موقف رائد هذه النهضة وقائدها الأكبر الإمام الخميني قدس سره في تحديد دور نهضته، ويمتاز هذا الموقف بأهمية خاصة بحكم مكانة صاحبه ومعرفته بمسار النهضة التي قادها والمحدد لأهدافها الاستراتيجية، وقد أثبت الواقع شدّة تأثير أفكاره في تحديد مسيرة النهضة حتى بعد وفاته ـ رضوان الله عليه ـ، وتتأكد هذه الأهمية بملاحظة أنّ كل من درس سيرة الإمام الخميني يعرف جيداً دقته في استخدام العبارات والأوصاف في مواردها الواقعية، وابتعاده كل البعد عن المبالغات والمواقف التي لا تستند إلى حقائق واقعية ثابتة.

الجمهورية الإسلامية ورعاية الإمام المهدي

كثيراً ما نلاحظ في ما تم تدوينه من تراث الإمام الراحل قدس سره وصفه للدولة الإسلامية التي أقامها بأنها دولة الإمام المهدي وأنه ـ عجل الله فرجه ـ هو الذي يرعاها. ولهذه الإشارات دلالات مهمة على تأييد الحقيقة المستفادة من تطبيق الأحاديث الشريفة المتقدمة على هذه النهضة، ولكننا هنا نختار نصّاً واحداً يصرّح بوضوح بالدور التمهيدي لها وكونها مقدّمة الثورة المهدوية الكبرى، وإضافة إلى هذا التصريح فان النص المختار ورد في واحد من أواخر البيانات التي أصدرها قبل فترة وجيزة من وفاته، ولذلك فهو يمثّل بلورة ناضجة بالكامل لدور نهضته ومسارها المستقبلي.

الثورة الإيرانية طليعة الثورة المهدوية

يقول ـ رضوان الله عليه ـ في مقاطع من بيانه الذي أصدره بمناسبة ذكرى النصف من شعبان ـ ذكرى مولد المهدي المنتظر عجل الله فرجه ـ بتاريخ ١٤ / شعبان/ ١٤٠٨ أي قبل وفاته بشهرين ونصف:

«سلامٌ وتحية إلى الحضرة القدسية، إلى وليد النصف من شعبان وخاتم ذخائر الإمامة حضرة بقية الله [الإمام المهدي] أرواحنا فداه، وهو وحده ناشر العدالة الخالد، والحامل الأكبر للواء تحرير الإنسان من قيود الظلم والجور الإستكباري.

سلام عليه ، وسلام على منتظريه الحقيقيين ، سلام على غيبته وظهوره ، وسلام على الذين يدركون ـ على نحو الحقيقة ـ ظهوره ، ويرتوون من شراب هدايته ومعرفته . وسلام على الشعب الإيراني العظيم الذي يمهّد طريق ظهوره بالتضحيات والفداء والشهادة . . . .

على مسؤولينا أن يعلموا بأن ثورتنا لا تنحصر في حدود إيران ، إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية لثورة العالم الإسلامي الكبرى التي يحمل رايتها الحجة [الإمام المهدي] أرواحنا فداه ، مَنَّ الله على المسلمين والبشرية جمعاء بجعل ظهوره وفرجه في العصر الحاضر . . . . . على حكومة الجمهورية الإسلامية أن تبذل قصارى جهدها لإدارة شؤون الشعب بأفضل ما يمكن ؛ ولكن لا ينبغي أن يغفلها عن أهداف الثورة الكبرى في إقامة الحكومة الإسلامية العالمية . »[٢٣]

عدم استقلال النهضة الخمينية عن الثورة المهدوية

وكما هو واضح من التدبّر في النص المتقدّم فهو صريح في تأكيد الدور التمهيدي الذي تقوم به هذه النهضة تجاه الثورة المهدوية الكبرى ؛ الأمر الذي يغنينا عن إطالة الكلام في توضيح مغزاه ، فنكتفي بالإشارة إلى بعض النقاط التكميلية المرتبطة بالبحث:

١ ـ إن النهضة الخمينية هي منطلق الثورة الإسلامية الكبرى ، الأمر الذي يشير إلى استمرار تفاعلاتها وانتشار أفكارها وتنامي امتداداتها في العالم الإسلامي باستمرار حتى تتوج بظهور الإمام المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ ، وهذه الحقيقة يدعمها الواقع السياسي المعاصر الذي يشهد انتشار الأفكار الخمينية في مختلف البلدان الإسلامية مجسدة بتنامي تيار الصحوة الإسلامية والمطالبة بتطبيق الشريعة .

٢ ـ إن النهضة الخمينية ليست مستقلة عن الثورة المهدوية الكبرى ، بل هي جزء منها تحمل نفس الأهداف الاستراتيجية لها في إقامة الحكومة الإسلامية العالمية ، فالراية واحدة يحملها الإمام المهدي نفسه . الأمر الذي يُخرج هذه النهضة من دائرة مصاديق الرايات التي ترفع قبل ظهور المهدي ـ عجل الله فرجه ـ والتي تنص بعض الأحاديث الشريفة على أن أصحابها طواغيت ، وعليه يكون المقصود من هذه الأحاديث

---

(٢٣) صحيفة نور ، ٢١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ الطبعة الفارسية الأولى .

الشريفة هو التحركات الثورية المستقلة عن التحرك المهدوي غير القائمة على أساس التمسك بالنهج الذي يمثّله ، أي غير القائمة على التمسك بولايته عليه السلام والساعية للتمهيد لظهوره .

تصديق مسيرة النهضة الخمينية للأحاديث الشريفة

القسم الثالث من البحث يتناول الاستدلال على قيام النهضة الخمينية عملياً بالتمهيد للثورة المهدوية الكبرى ، من خلال مقارنة ما أنجزته وتنجزه هذه النهضة ؛ بالأهداف المحددة للثورة المهدوية . وهذا الاستدلال يثمر نتيجة مهمة في إثبات صحة أحاديث حركة الموطئة والاطمئنان بصدورها عن ينابيع الوحي حتى لو كان ثمة نقاش في أسانيدها ، لأنّ ما قامت به النهضة الخمينية صدق ما أخبرت عنه تلك الأحاديث الشريفة وجاء منسجماً بالكامل مع دلالاتها رغم صدورها قبل وقوع هذه النهضة بما يزيد على الألف عام وفي وقت لم تكن الأوضاع القائمة تحمل أي مؤشرات تدل على ما تضمنته الأحاديث من دور إيران في التوطئة للإمام المهدي الموعود ـ عجّل الله فرجه ـ ، الأمر الذي يثبت بالتالي أن ما أخبرت عنه هو من أنباء الغيب الصادقة التي لا يمكن صدورها إلّا من جهة ينابيع الوحي ومن ارتضاه علّام الغيوب عزوجل لإطلاعه على بعض أخبار الغيب .

أهداف ثورة المهدي ومنجزات النهضة الخمينية

ولتوضيح هذا الدليل العملي ينبغي **أولاً** معرفة أهداف الثورة المهدوية وما يحققه الله على يدي وليه الإمام المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ ؛ **وثانياً** معرفة ما حققته النهضة الخمينية وتحقّقه تفاعلاتها على الواقع العملي وعلاقته بتلك الأهداف ، ثم المقارنة بينهما لمعرفة مدى صدق مقولة أن النهضة الخمينية هي الحركة الموطئة للظهور المهدوي .

وحيث إن ما سيحققه الله تبارك وتعالى على يدي المهدي الموعود عجّل الله فرجه هو من أنباء الغيب المستقبلية ، لذا فأنّ طريق معرفته تكمن في الرجوع إلى ينابيع الوحي والتدبّر فيما تحدّثت عنه الآيات الكريمة وصحاح الأحاديث النبوية خاصة المتفق عليها بهذا الشأن ، واستخلاص الأهداف العامة للثورة المهدوية الكبرى منها .

أما فيما يتعلق بالجانب الثاني ، فإن النهضة الخمينية حركة معاصرة ويمكن معرفة إنجازاتها الحضارية من التدبر المنصف في التغييرات التي أحدثتها على الصعيد

العالمي والقيم الإسلامية التي أحيتها والآثار التي تركتها على العالم الإسلامي وغيره والآثار المتوقعة من استمرار تفاعلاتها المشهودة .

الأهداف المهدوية في النصوص الشرعية

عندما نرجع إلى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة المتفق على صحتها بين المسلمين ، نرى أنها تحدّد للثورة المهدوية الكبرى الأهداف الرئيسة نوجزها على النحو التالي :

أولاً : إظهار الإسلام على الدين كله وغلبته على سائر الأديان ، وهذا ما تصرّح به عدّة آيات كريمة مثل الآيات (٣٢ـ٣٣) من سورة **التوبة** ، والآيات (٨ـ٩) من سورة **الصف** وغيرها . وقد اتفقت الأحاديث الشريفة المروية من طرق أهل السنة والشيعة وكذلك آراء مفسّريهم على أن هذا الهدف الحتمي التحقق لتعلق الإرادة الإلهية به إنما يكون في عصر المهدي المنتظر ـ عجّل الله فرجه ـ[٢٤] .

ثانياً : إنهاء الردة عن الدين الحق وإنهاء تبعية المسلمين وموالاتهم لليهود والنصارى كما تحدّثت عن ذلك الآيات الكريمة (٥١ـ٥٤) من سورة **المائدة** ، وقد فصل الحديث المستدل بالقرآن والسنّة عن دلالتها على ما يجري في عصر المهدي الموعود العلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم « **الميزان** »[٢٥] .

ثالثاً : إنهاء الظلم والجور وإقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة كما نصّت على ذلك الأحاديث الشريفة المتّفق على صحتها وتضمّنته عددٌ من الآيات الكريمة .

رابعاً : إزالة الشرك وتطهير الأرض منه بالكامل ونشر التوحيد الخالص والعبادة الحقّة لله تبارك وتعالى كما هو المستفاد من الآية (٥٥) من سورة **النور** وكذلك الآية (٥٦) من سورة **الذاريات** وغيرها[٢٦] . وإقامة المجتمع الموحد الصالح الذي يعبد الله وحده لا شريك له ويقيم الصلاة ويُؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

---

(٢٤) راجع تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ١٦ : ٤٠ ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ، ٤ : ١٧٦ ، تفسير الطبري ، ١٤ : ٢١٥ ، وتفسير القرطبي ، ٨ : ١٢١ ، ومجمع البيان للطبرسي ، ٥ : ٣٥ .

(٢٥) تفسير الميزان ، ٥ : ٣٦٦ ـ ٤٠٠ .

(٢٦) من المفيد في هذا الجانب مراجعة البحث الاستدلالي المفصّل الذي أورده السيد محمد الصدر في تاريخ الغيبة الكبرى : ٢٥٤ وما بعدها .

خامساً : إيراث الأرض وحاكميتها لعباد الله الصالحين الذين استضعفوا في الأرض لانتمائهم التوحيدي كما أشارت لذلك عدّة من الآيات الكريمة ، كالآية (٥٥) من سورة النور ، والآية (٥) من سورة القصص والآية (١٠٥) من سورة الأنبياء .

هذه هي الأهداف العامة للثورة المهدوية الكبرى طبق ما دلّت عليه الآيات الكريمة وصحاح الأحاديث النبوية .

إحياء دور الإسلام في الحياة المعاصرة

أما المنجزات التي حققتها النهضة الخمينية ، فإنّ أبرز ما يتفق عليه الدارسون لها بمختلف اتجاهاتهم هو :

أولاً : إحياء دور الإسلام على الصعيد الإسلامي والعالمي . فقد قامت على أسسه دولة معاصرة استجابت لمتطلبات الحياة المعاصرة مع التزامها بالقيم الإسلامية العريقة . وفنّدت عملياً ادعاءات الغرب والمتغربين القائلة بعدم جدوى التفكير بإقامة الدولة الإسلامية في العصر الحاضر ، لأن الإسلام ـ على أفضل التصوّرات حسب زعمهم ـ هو منهاج صالح للحكم قبل أربعة عشر قرناً، أمّا اليوم فهو غير قادر على إدارة دولة معاصرة حديثة ؛ وعلى الاستجابة لمتطلبات هذا العصر وتطوراته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصراعية ، فالأفضل أن يكون بعيداً عن الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصراعية ، ويبقى محصوراً في دائرة التوجيه الروحي والشؤون الشخصية للأفراد !!

وقد انتشرت هذه الأفكار في بدايات القرن المنصرم حتى في أوساط المسلمين وانحسر التصوّر بإمكانية أو جدوى الدعوة للمطالبة بتطبيق الشريعة في جميع الشؤون ، فكان من غير المتصوّر تفجير أو نجاح ثورة إسلامية عالمية تدعو لإظهار الإسلام على الدين كله وإقامة دولة عالمية تحكم الأرض جميعاً مع بقاء هذه الأفكار مؤثرة في الوسط الإسلامي .

إثبات إمكانية إقامة الدولة الإسلامية الحديثة

النهضة الخمينية برهنت عملياً على إمكانية إقامة الدولة الإسلامية العادلة في العصر الحاضر المواكبة لتطوراته والمستجيبة لمتطلباته ، فطردت عملياً تلك الأفكار المثبطة ودحضت الدعايات الغربية وكافحت اليأس الذي نشرته تلك الأفكار والدعايات

في أوساط المسلمين . ولا أدل على نجاحها في ذلك من انتشار ظاهرة المطالبة الشعبية والعامة ـ وليس مطالبة فئةٍ محدودة من علماء الدين أو النخبة الواعية من الأمّة ـ بإقامة حكم الشريعة الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ؛ وهذا واقع مشهود أفرزه انتصار النهضة الخمينية ونجاحها في إقامة الدولة الإسلامية المستقرّة في ايران . وفي ذلك تمهيد واضح للثورة المهدوية العالمية التي تدعو لإقامة حكم الإسلام في العالم كلّه كما رأينا .

إيجاد حالة التطلع للإسلام

وإضافة لذلك مهّدت نهضة الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ لهذا الهدف من أهداف الثورة المهدوية العالمية ، بنجاحها عملياً في إيجاد حالة التطلع للتعرف على الإسلام حتى في أوساط غير المسلمين ، فأخذت تتنامى ظاهرة السعي لدراسة الإسلام في الأوساط الفكرية خارج دائرة العالم الإسلامي ورافقتها ظاهرة الإقبال على اعتناق الإسلام بين الغربيين وانتشار الشعور بأن الإسلام هو وحده القادر على حل الأزمات الخانقة التي تعتصر البشرية اليوم ، حتى وجدنا العديد من رجال الدين المسيحيين يصرّحون بأنّ الله قد بعث رجال النهضة الخمينية لإحياء القيم الدينية وإنقاذ العالم من الفساد الذي يعتصره[٢٧] .

إن أصل نجاح النهضة الخمينية في إقامة دولة في ايران تحكم على أساس الإسلام أوجد حالةً من التطلّع لدى الشعوب غير الإسلامية لمعرفة هذا البديل الحضاري الذي استطاع تحدّي القوى الكبرى وقهر إرادتها التوافقية لإلحاق الهزيمة به عبر حرب الأعوام الثمانية وغيرها ، وعرض مبدأ الاستقلال الكامل عنها ، وقد ترسّخت هذه الحالة من التطلع لدى الشعوب المستضعفة بحكم تبني هذه النهضة لشعار الدفاع عن المظلومين ومقارعة الظالمين .

عرض الإسلام كبديل حضاري للعالمين

وقد اقترنت هذه الدعوة العملية للإسلام كبديل حضاري قادر على حل أزمات

---

(٢٧) بمثل هذه العبارات خاطب عدد من القساوسة ورجال الكنيسة في الأرجنتين وكوبا وغيرهما ، آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي خلال جولته الثقافية في هذه الدول التي قام بها في شهر جُمادى الأولى المنصرم ، وقد نقل هذه المواقف وأمثالها في خطاب ألقاه على طلبة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة تحدّث فيه عن جولته .

البشرية بدعواتٍ تبليغية تجلّت بوضوح في رسالة الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ الشهيرة التي بعثها لآخر الزعماء السوفيت ميخائيل غورباتشوف ، وقد دعا فيها إلى دراسة الإسلام والتعرّف على حلوله الناجعة وأهدافه السامية ، وصرّح بثبات الجمهورية الإسلامية على مواصلة دورها كقاعدة لدعم نشاط الحركات التحررية الإسلامية وغيرها .

وفي كل ذلك تمهيد واضح لأهداف الثورة المهدوية على الصعيد العالمي ، فضلاً عن الإسلامي .

محاربة التبعيات وبعث الانتماء الإسلامي

ثانياً : تميّزت النهضة الخمينية بشدّة التزامها وتأكيدها على النهج الإسلامي المستقل الرافض لمختلف أشكال التبعية للأجانب والغرب والتغريب واليهود والنصارى ومحاربة هذه التبعيات بإصرار بالغ وتعريف المسلمين بأخطارها وبإمكانية إقامة الدولة المستقلة عنها المتحررة عن أسرها القاهرة لإرادة أصحابها .

وبذلك أحيت شعور الفخر والاعتزاز بالانتماء الإسلامي لدى المسلمين[٢٨] ، وفي ذلك إنجاز واضح التأثير في التمهيد للثورة المهدوية الكبرى التي ستقطع كافة أشكال التبعية لليهود والنصارى وتعيد للمسلمين دورهم الريادي لإنقاذ البشرية كـ «**خير أمّة أُخرجت للناس**» ، وتعيد المجد الإسلامي على أساس الاستقلال الحقيقي .

بعث الروح التضحوية

ثالثاً : نجحت النهضة الخمينية في إحياء الروح التضحوية الحسينية وأساليب الجهاد الاستشهادي المبدئي المستلهم منها ، وهي الروح التي أثبتت شدّة فاعليتها في التحديات الخطيرة التي فرضتها عليها حالة التوافق الدولي الواسع ضدها وألحقت الهزيمة بمحاولات الاجهاض التي خطط لها أعداؤها المحليون والدوليون قبل الانتصار وبعده .

وواضح ان إحياء هذه الروح عامل مهم للغاية في التمهيد للثورة المهدوية ، لأن هذه الثورة الكبرى تحمل أهدافاً واسعة تشتمل على إزالة كل الظلم والشرك وتحرير

---

(٢٨) راجع مثلاً أحاديث الإمام الخميني عن هذه القضية بالذات في وصيته السياسية الإلهية .

المستضعفين وإنهاء حاكمية المستكبرين والظلمة ، وهذه مهمة صعبة لا يمكن إنجازها بدون توافر مثل هذه الروح الجهادية الصلبة ، خاصة مع اتساع نطاق التحديات التي ستخوضها تجاه أعدائها .

ترسيخ الشعور بمظلومية الحق

يُضاف إلى ذلك أن من الإنجازات المهمة لنهضة الإمام الراحل ﷺ توسيع نطاق الشعور العام بمظلومية نهج الحق الذي يمثّله سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وترسيخه في الوجدان الإسلامي وترويج ثقافة « عاشوراء » وترسيخ الاهتمام بإقامة المراسم الحسينية وتجسيد مظاهر النصرة الحقيقية للإمام الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائهِ ، ومن المعلوم أن هذه الشعائر كانت من أهم منطلقات التحرّك الثوري لرجال النهضة وقاعدتها ومن أبرز عوامل انتصارها .

ومعلوم أن هذا الإنجاز يمثّل خطوة مهمّة أخرى في التمهيد لثورة الإمام المهدي ـ أرواحنا فداه ـ الكبرى ، لأنها تنطلق من منطلق الثأر لمظلومية الحق الذي يمثّله سيّد الشهداء عليه السلام ، ومعاقبة الانحراف الأموي كرمز للباطل والظلم بمختلف مسالكه ومشاربه في كل عصر ومصر ؛ والذي يمثّل أيضاً أوضح المصاديق التي عرفها التاريخ الإسلامي للردة عن الدين الحق .

تعميم العرفان التوحيدي الأصيل

رابعاً : نجحت نهضة الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ في إحياء الأفكار التوحيدية والعرفانية النقية المستلهمة من سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة العترة عليهم السلام ، وأخرجت هذه الأفكار من إطار الفكر الخاص بفئةٍ قليلة إلى إطار الحالة الجماهيرية العامة والفاعلة في حياة الناس وسلوكياتهم العملية[٢٩] . وقد تجلّى هذا النجاح في آلاف الصور الملحمية في الأعوام الثمانية للحرب المفروضة وقبلها وبعدها ، التي جسّدت أسمى قيم التوحيد الخالص والتوكل على الله وحده والخشية منه دون سواه والعبادة الحقة له جلّت قدرته.

---

(٢٩) راجع توضيحات آية الله الشيخ جوادي الآملي لإنجاز الإمام الخميني في نقل العرفان الأصيل إلى الوسط الاجتماعي في المقدّمة التي كتبها لكتاب « سرّ الصلاة » من مصنّفات الإمام الخميني في طبعته الجديدة الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام والتي نشرت أيضاً ترجمتها العربية .

ومن البين أن لهذا الإنجاز آثاراً عملية قوية لابدّ منها في التمهيد للثورة المهدوية فيما يرتبط بهدفها الأساسي وهو إزالة الشرك ونشر التوحيد الخالص وإقامة المجتمع التوحيدي الصالح والمخلص في عبادة الله وحده لا شريك له ، حيث قدّمت للعالم صورة مصغرة عاشتها جبهات الدفاع المقدس لهذا المجتمع الصالح المجاهد في سبيل الله والذي لا يخشى في الحق لومة لائم الآمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، المقيم للصلاة والمؤتي للزكاة .

عرض الإسلام المحمدي النقي

خامساً : إن من أهم وأبرز منجزات النهضة الخمينية هي أنها أحيت الإسلام المحمدي النقي وأزاحت عنه غبار التحريف والجمود والتحجّر والتعطيل وكل ما جعله يعود غريباً كما بدأ غريباً . وعرضته في صورته النقية المنقذة للعالمين من مختلف العبوديات الباطلة وهي الصورة الخالصة التي جاء بها رسول الله ﷺ .

كما عرّفت العالم بخط الإمامة المعصومة الحافظة للإسلام الأصيل والمتمثّل بمنهج أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وهو الإسلام النقي الذي يمثّله ويحمل رايته المهدي الموعود ويقيم الحكومة الإسلامية العالمية على أساسه . وواضحٌ ما في إحياء هذا النهج الأصيل من تأثير بالغ في التمهيد للثورة المهدوية الكبرى التي تنطلق لإقامة الحاكمية العادلة ،الشاملة والعالمية لهذا الدين الحق على أساس منهج أهل البيت عليهم السلام .

إيجاد حالة التطلع لظهور المهدي الموعود

ويُلاحظ هنا أن الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ قاد نهضته بعنوانه مرجعاً إسلامياً ينوب عن المهدي المُنتظر ـ عجّل الله فرجه ـ في غيبته وفقدان إمكانية الرجوع العلني إليه ـ عجّل الله فرجه ـ .

إن مجرّد قيادة مثل هذه النهضة الواسعة بهذا العنوان يمثّل تمهيداً للثورة المهدوية حيث يتضمّن التعريف بهوية المصلح الكبير على الصعيد الإسلامي والعالمي ، وقد عايشنا آثار هذا الأمر في ازدياد التساؤلات في الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية عن هوية المهدي المنتظر ـ عجّل الله فرجه ـ والتطلع لمعرفته، ثم التطلع إلى ظهوره وتفجر ثورته بعد مشاهدة ما حققه نائبه من منجزات . وإلى هذا الأثر تشير الأحاديث الشريفة عندما تقول بعد حديثها عن حركة الموطئة : «**فعند ذلك يتمنّى الناس المهدي ويطلبونه**» كما ورد في النموذج الحادي عشر من الأحاديث المتقدّمة .